

تنظيطات بالفم والدم على جدران المتحف العراقي

إلى د. سمير قطامي

. حميد سعيد .

المجموعة:

القادمون من أرومة الخلل ومن مستعمرات النمل ..

سبعة كهان من أور ..

من بقايا مدن منسية .. من حقب وحشية ..

من عفن في الروح ..

سبعة حكماء من بابل .. سبع أميرات من آشور

من عجين فاسد ..

النيران تحاصرهم في فردوس الوطن المغدور

ومن سلالات الخراب والخرائب .

يطردهم وحش العتمة من حقل النور .

من هو انكيدو؟!

❖ ❖

تقول المرأة البغي: لم يكن لي صاحباً

السومريون أفاقوا من سمددير الرؤى ..

ولم يدق من ثمرات جسدي حلواً ولا مرّاً

فانفتحت على جحيم العالم السفلي ألف باب

ولم يكن خلاً لكلكامش ما رافقه يوماً إلى الماء

وجاء رب الجنود من ممالك الحقد إلى أوروك

الذي خبأ فيه الجد .. سر الموت والحياة .

منتقماً .

.....

ترتجف النصوص في أصابع اللصوص

فأشعل النيران في نخيلها .. وأشعل النيران في الأعناب .

تساقط القصائد الأولى .. كما الأسنان في الشيحوحة .

أيقظت المليك البابلي من سباته البعيد

اقتربت من كاهنة المعبد ..

ضجة اللصوص في الأسواق

كانت تتخفى في أزقة الكرخ، وكان دمها

وفزعت كاهنة المعبد في آشور .

يمتد من جراحها إلى فضاء الموت في المتحف

أهذه نهاية الكون .. وهذي فورة التنور؟!

كان ناصر بعل يبكي .. بعد أن جرده الغزاة من خوذته

خائفة عشتار .. قانت تموز ..

حيث رأى الليلة .. في مواسم الأسلاف

من هؤلاء؟!

النار والرماد

انزعوا الألوان من ثمار حقله ..

النار والرماد

وجرحوا الأحنان في ليالي الحان ..

النار والرماد

ليس سوى مرثية سوداء .. صارت البلاد .

نهبوا ما أبدع الزمان من كنوز .

❖ ❖

❖ ❖

سمعتُ في غيابة المتحفِ صوتاً يصيحُ:

يا أمنا شبعادُ

مَنْ ذا الذي يَطْرُدُنَا من لغةِ الملحمةِ الأولى ..

ومن ذا الذي يُحيلُنَا إلى تُخومِ الظلامِ؟! ..

يا أمنا شبعادُ

جَرَدَكَ الغُرَاةُ من بهاءِ أقراطكِ والقلائدِ ..

يا أمنا شبعادُ

ليسَ سوى مرثيةِ سوداءٍ .. هذه البلادُ ..

.....

.....

المجموعة:

سبعةُ كُهَّانٍ من أور ..

سبعةُ حكماءٍ من بابل .. سبعُ أميراتٍ من آشور

ضاعوا في ظلماتِ الماءِ المسجور

وافترقوا في اللحظاتِ المجدومةِ .. مَسْمولينَ بأيدي الأوغادِ

لا أحدٌ يسألُ عن بغداد ..

لا أحدٌ يسألُ عن بابل .. عن أور .. وعن آشور ..

❖ ❖

شاهدتُ عبدَ اللهِ في الجوارِ

يُمسحُ الجدرانَ .. يَسْتَظِلُّ بالخرائبِ التي كانتِ بلاداً

ويُقيمُ مأتماً في سرِّهِ .. يفتحُ في الدمارِ باباً ..

إلى حدائقِ غَفَّتْ على أديمها عشتارُ

وغيَّبتُ آلاؤها ما خَلْفَ التتارِ

أعادَ للأشجارِ أسماءَها ..

وأعادَ العطرَ للأزهارِ .. والألوانَ للثمارِ ..

والحريرَ للسواقِ .. والهديرَ للأنهارِ ..

حتى إذا أفاقُ

كان الرمادُ سيِّداً ..

وكان ..

وحشٌ خرافيٌّ يلمُّ دورةَ الزمانِ

في لحظةٍ غيَّبَ عنها اللهُ والإنسانَ

وكان عبدُ اللهِ والنخيلُ والقبابُ الخضِرُ والنهرانِ

في مضاربِ الأفتانِ ..

أهذه الغيبوبةُ السوداءُ .. بغداد ..

وهذا الموتُ .. بغداد؟! ..

لماذا وَقَفْتَ في حَرَمِ التاريخِ .. حتى جاءها القاتلُ من

مأمِنِها؟

ماذا سيبقى لكِ إن لم تصعدي من عثراتِ العالمِ السفليِّ ..

من نارِ الأساطيرِ إلى نورِ المقاصيرِ؟

وماذا يُلهمُ العشاقَ إن لم تغسلي بالضحكِ الأمطارَ؟

ماذا يُلهمُ العشاقَ؟

.....

.....

تساقطُ الأحلامُ مثلَ تساقطِ الأوراقِ

تزدحمُ الشوارعُ بالعناكبِ .. بالحرابِ وبالترابِ

حتى كأنَّ الموتَ يَحْتَلُّ ورَدَها والشوكَ .

مَنْ ماتَ العشيَّةَ، دونَ أنْ يدري لماذا ماتَ في هذي
العشيَّةِ،

لا يُثابُّ ولا يُعابُّ ..

وكأنَّ كلَّ يدٍ تُمدُّ إلى بهائكِ ..

أو تودُّ ..

يدُ العذابِ .

المجموعة :

في هذا الديجورُ

لا قَمَرٌ يفتحُ بواباتكِ بغداد .. ولا الأرضُ تدورُ

هجرَ الشعْرُ الأرضَ .. وغادرَ موطنه الماءُ

الأوتارُ بقيثارِكِ عُمي .. والصمْتُ عواءَ مقررٍ

في هذا الديجورُ .

❖❖

لا شاهدٌ فَطِنٌ .. ولا راوٍ يقولُ لنا الحقيقةَ .

كلُّ شاهدةٍ تَخْطِفُها السُّعارُ

وكلُّ ما خطَّ الجدودُ الصبيدُ من أحلامنا الأولى

على طحينِ البلادِ

أضحى سَيِّئاً .

كلُّ ما رسموا وما نَحَتوا وما كَتَبوا .. يُقيمُ مع الرمادِ .

أهذه بغداد؟!!

أسألُ عابرين .. فما أجابوا ..

أينُ الصحابُ؟

لا سامرٌ في الحيِّ .. لا ضحكٌ .. ولا صوتُ المؤذِنِ يذكرُ

اسمَ الله ..

لا ماءٌ قراحٌ .. لا سرابٌ

هذا الخرابُ ..

بستانُ عزرائيلِ يثمرُ في مواسمه خرابُ

لم يبقَ في أرجائه شَجَرٌ ولا حَجَرٌ ..

لقد عمَّ الخرابُ

عمَّ الخرابُ

عمَّ الخرابُ

❖❖

لا شاهدٌ فَطِنٌ ولا راوٍ يقولُ لنا الحقيقةَ ...

كلُّ شاهدةٍ تَخْطِفُها السُّعارُ .

بغداد - عمان